الدكتور عزيز فهمي

محامي قدير وصحافي حر وشاعر موهوب وخطيب مناضل ونائب ثائر، واحد من فرسان شباب الوفد الذين كان لهم صولات وجولات في الحياة السياسية، وقف بعنف ضد مشروعات تقييد حرية الصحافة وكان صوته من ألمع وأكبر الأصوات الوطنية الحرة التي وقفت في وجه الظالمين والفاسدين، عاش حياته مكافحاً للاستعمار وأعوانه في مصر.

هو عزيز فهمي بن عبدالسلام باشا فهمي بن محمد جمعة ، ينتمي إلى عائلة ثرية تهتم بالسياسية، فوالده هو عبد السلام باشا فهمي جمعة من أعيان محافظة الغربية، وهو أحد أكبر الساسة بمصر في ذلك العهد ومن أقطاب حزب الوفد المصري، شغل مناصب عديدة في وزارات الوفد المختلفة، فشغل منصب وزير التجارة والصناعة في وزارة النحاس باشا في عهد مجلس الوصاية في الفترة 10 مايو 1936م وحتى 31 يوليو 1937م.

وفي أول حكومة تشكلت في عهد الملك فاروق والتي شكلها النحاس باشا، جمع عبد السلام باشا فهمي بين وزارتين فشغل منصب وزير التجارة والصناعة في الفترة من 3 أغسطس 1937م وحتى 30 ديسمبر 1937م، ووزيراً للمعارف العمومية في نفس الحكومة في الفترة من 3 أغسطس 1937م وحتى 17 نوفمبر 1937م، كما شغل منصب وزير الزراعة في الفترة من 6 فبراير 1942م وحتى 31 مارس 1942م في

وزارة النحاس باشا، كما تولى عبد السلام باشا فهمي جمعة رئاسة مجلس النواب المصري مرتين.

ولد عزيز فهمي بمدينة طنطا في التاسع من شهر أكتوبر سنة **1909**م، وفي بداية دراسته التحق بمدرسة طنطا الابتدائية أربعة أعوام وبعد أن أتم دراسته الابتدائية التحق بمدرسة طنطا الثانوية فترة صغيرة ثم انتقل إلى مدرسة الجيزة الثانوية وحصل منها على شهادة البكالوريا، وفي المرحلة الجامعية جمع عزيز فهمي في دراسته بين الأدب العربي والحقوق، ليجمع بين موهبتين موهبة القانون وموهبة الأدب.

وفي عام **1931** م حصل من جامعة فؤاد الأول على ليسانس الحقوق والآداب في اللغة العربية ، وكان في طليعة الشباب الجامعي المثقف وشاعراً موهوباً ومن اشعاره التي نشرت عام **1931**م، قصيدة بعنوان (اسلمي مصر) نشرتها صحيفة الجامعة المصرية بالعدد السادس من السنة الثانية في يونيو **1931**م، ويقول في مطلعها:

اسلمي مصر على مر القرون لن تُضامي أنت يا مهد الخلود		حسبك الله نصيراً ومعين وفداك اشبال العريـــــن

وفي عام **1931**م وتحديدا في إجازة نصف السنة وعندما كان طالباً في كلية الآداب، ذهب إلى العراق في رحلة جامعية اشترك فيها بعض أساتذة الحقوق وكلية الآداب وبعض الطلبة وكان الكاتب الفذ الأستاذ أحمد أمين هو المشرف على الرحلة، ولما وصلوا كانت الدنيا شتاءً وبرداً قارساً ولم يمنعهم سوء الأحوال الجوية من مواصلة رحلتهم، فزاروا خلال الرحلة أشهر معالم بغداد ومدينة الفلوجة وعبروا نهر دجلة في طريقهم إلى زيارة مدينة سامراء، وأراد عزيز فهمي أن يعبر الجسر المقام على دجلة فسقط بين

المركبين فبعث الأستاذ أحمد أمين الذي كان مشرفاً على الرحلة من ينقذه وبالفعل استطاعوا إنقاذ عزيز من الغرق وغيروا له ملابسه المبلولة واشعلوا ناراً تدفئه من البرد القارس ونجا عزيز من الحادث الذي كان ارهاصا لما حدث فيما بعد ، فقد مات عزيز فهمي غريقاً بعد 20 عاماً من تلك الليلة وكأن القدر حتم عليه أن يموت غريقاً وقد تنبأ بموته في قصيدة عن (قارئ الكف) خاطبه في مطلعها قائلاً :

يا قارئ الكف ماذا أضمر القدرُ؟		ولا عليك إذا لم يَصْدُقِ الخَبرُ

إلى أن يقول:

أم أن في مَسْبَحِ الحيتان مُنْقَلَبي		يومَ الرحيلِ إذا ناداني السفَرُ؟
قل ما بدا لَكَ واهْرِفْ غيرَ مُبْتَدِعٍ		فالرجْمُ بالغيب لو تدري هو الهذَرُ
اللّحْدُ كاللحْدِ والأكفانُ واحدةٌ		ولا خيارَ لميْتٍ حينَ يَدّثِرُ
والمالُ كالعُدْم لولا أنه أمَلٌ		إنّ الغَنِيّ إلى الأموال مُفْتَقِرُ
والسّعْدُ حالٌ على الإنسان طارئةٌ		وعند صفو الليالي يحدث الكدر

رحل عزيز فهمي إلى فرنسا للدراسة وحصل على الدكتوراه في القانون من جامعة السوربون بباريس عام 1938م، وكان موضوع أطروحة الدكتوراه (الامتيازات الأجنبية ومعاهدة 1936م) ولعل عنوان البحث يشير إلى ما كان يتمتع به عزيز فهمي من وطنية ودلالة كبري على انشغاله بأمر وطنه مصر، وأثناء أقامته في فرنسا لم يتوقف طموح عزيز فهمي حيث حصل على دكتوراه في الآداب من نفس الجامعة السوربون بعد حصوله على دكتوراه القانون.

وبعد عودته إلى مصر وبسبب نشأته في كنف أبيه السياسي المحنك كان لعزيز نزعات سياسية فاندفع إلى العمل الوطني منحازاً للحركة الوطنية ليصبح أحد فرسانها، وكما كان الوالد كان الابن، ومن شب على شيء شاب عليه، فانخرط في حزب الوفد المصري فكما كان والده وفدياً حتي النخاع أصبح عزيز فهمي أحد أقطاب شباب الوفد، وعمل عزيز فهمي بالمحاماة وكان في مقدمة المحامين المدافعين عن المتهمين السياسيين والمظلومين في تلك الفترة، وبجانب المحاماة عمل عزيز فهمي بالصحافة فاشترك في تحرير جريدة الوفد.

كما نشرت له صحيفة البلاغ مقالاته الثائرة عندما تولى إسماعيل صدقي باشا الوزارة في 16 فبراير 1946 م ساهم عزيز فهمي من خلال مقالاته في مواجهه إسماعيل صدقي باشا وحكومته، وفي يوليو من نفس العام 1946م وعندما قرر إسماعيل صدقي باشا القيام بحملة عنيفة والزج بكل الكُتاب الأحرار في السجن، متهماً إياهم بالتآمر على قلب نظام الهيئة الاجتماعية مغلفاً ذلك بحملة دعائية عن القبض على أكبر قضية شيوعية، لم يسلم من ذلك عزيز فهمي ودخل السجن ولم يستمر الوضع طويلاً إذ سرعان ما افرج القضاء على المتهمين.

ولعل من أبرز مواقف عزيز فهمي القوية في حماية الحريات عندما انعقدت الجمعية العمومية العادية لنقابة المحامين في 27 يونيو 1947م للنظر فيما يجب اتخاذه من إجراءات سريعة وحاسمة لحفظ الضمانات التي كفلها القانون للمتهمين والمحامين لحمايتهم من التعسف والارهاب الذي كانوا يلاقونه في تلك الفترة، فكانت جلسة صاخبة بثورة المحامين وكان بطلها المحامي عزيز فهمي وفي اليوم التالي تصدر صفحات الجرائد اليسارية التي اشادت بموقفه.

وهكذا جمع الدكتور عزيز فهمي بين القانون والصحافة والأدب بالإضافة إلى أنه كان من شعراء الشباب الموهوبين الذين أذكوا بأدبهم الذكي المشبوب النهضة المصرية ومن بواكير شعره بعد عودته من باريس إلى مصر:

أيها الحِبُّ ليس لي منك إلا	ذكريات تُلحُّ في غير قصد
ذكرياتٌ أعيش فيها ومنها	ليتها ليتها تُلـحُّ وتجدي
طائف كالفَراش حول شعاع	محرقٍ يبعثُ الحياةَ ويُردي
ذكرياتٌ تمرُّ حيناً وتحلو	بعد حين، وأول الخمر يُصدي
يوم كنّا في ميعة العمر نلهو	لهوَ طفلين جاوزا سنّ رشد
نتلاقى على صفاء قلوبٍ	لم تُدَنّسْ على الزمان بحقد

ومن جميل اشعاره قصيدة (قطرة في بحر) يقول فيها مخاطباً البحر:

و يا بحر جئتك أفضي بنفسي	وأشكو الزمان وماذا جلب
وأُغرق فيك همومي وأنْـقَعُ	يا بحر جرحاً بجنبي وثب
ومَن شاغب الدهر مثلي فما	له الدهرَ إن زلّ يا بحر حِب
وغدر الزمان كختل الرجال	ووقع السهام كلسع الرُّقُب
حنانيك يا بحر! يشكو إليك	غريب تشرّد حين اقترب
غريب تشرّد في داره	وضاقت به الأرض لما اغترب!
تعاليت يا بحر هذا الجلال	وهذا الجمال وهذا العجب
وهذا نشيدك لحن الحياة	فغنِّ الحياة ونح وانتحب

خاض الدكتور عزيز فهمي الانتخابات البرلمانية مرشحاً للوفد في انتخابات يناير 1950م، وأصبح نائباً في مجلس النواب عن دائرة الجمالية بالقاهرة ، بالرغم أن موطنه الانتخابي في الغربية إلا أنه اختار هذه الدائرة الصعبة وقد فاز الوفد في هذه الانتخابات بالأغلبية الساحقة حيث حصد الوفد 228 مقعدا من أصل 319 مقعدا.

وشكل مصطفى النحاس باشا وزارته السابعة في 12 يناير 1950م، وهي وزارة الوفد الأخيرة قبل قيام ثورة يوليو 1952م، كما انتخب عبدالسلام باشا فهمي جمعة والد عزيز فهمي، رئيساً لمجلس النواب (16 يناير 1950م وحتى 10 مارس 1952م)، وساهم الدكتور عزيز فهمي داخل المجلس في الدفاع عن الدستور والحريات وكان عزيز مؤمناً بحرية الرأي والتعبير فكان يقود معارضة شباب حزب الوفد داخل البرلمان (مجموعة الطليعة الوفدية) ضد مشروع قوانين تقييد الصحافة والذي كانت حكومة الوفد تريد تقديمه من خلال النائب اسطفان باسيلي جرجس أحد النواب الوفدين.

وكان النحاس باشا رئيس الوزراء في ذلك العهد يؤيد التشريعات ويلوح بطرح الثقة بالوزارة، وقاد الدكتور عزيز فهمي المعركة ضد هذه التشريعات فوصفها بأنها (شرك بالله ، لأنها عدوان على أعز ما منحنا الله وهو الحرية) وأضاف أيضاً (نحب النحاس باشا ولكننا نحب دستورنا ولا نشرك بالله).

وتم سحق هذه التشريعات بعد عاصفة من الأستنكار والأحتجاجات، فاتخذت الهيئة الوفدية البرلمانية بالإجماع موقفاً رائعاً لرفض تشريعات حرية الصحافة وكان النائب عزيز فهمي كما وصفته صفحات الجرائد هو محامي الصحافة القانوني في اجتماع الهيئة البرلمانية، فكان منحازاً بكل قوة للدفاع عن الحريات والدستور والاستقلال

الوطني والديمقراطية والعدالة الأجتماعية ولا يمكن أن نغفل عن مشاركته في معركة القتال ضد الإنجليز بسبب إلغاء معاهدة **1936**م وذلك في عام **1951**م.

وتوفي البركان الثائر، النائب المناضل عزيز فهمي غرقاً في أول مايو عام **1952**م، أثناء حادث سيارة أنقلبت به في النيل عند قرية الفشن التابعة لمركز العياط حيث لقي مصرعه ونجا السائق وكان في طريقه إلى بني سويف للترافع في إحدى القضايا الوطنية، رحل بعد أن قضي حياته من أجل وطنه لما لا وهو القائل :

وطني لو بدلت به الدنيا		ولي الخلد اخترت ثري وطني

وأقيم له حفل تأبين بنقابة الصحفيين حضره عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين وكامل بك الشناوى ونقيب الصحفيين حافظ محمود، ونشرت دار المعارف ديوان شعري باسم (ديوان عزيز) وهو الديوان الذي قدم له الدكتور طه حسين وجمعت فيه أشعار الفقيد، كما حقق له محمد قنديل البقلي كتاب (المقارنة بين الشعر الأموي والعباسي في العصر الأول) وهو بحث قدمه عزيز فهمي أثناء دراسته بالكلية كأعمال سنة لأستاذه الدكتور عبدالوهاب عزام ونشرته دار المعارف أيضاً.

وقد أطلق فيما بعد اسم عزيز فهمي على أحد شوارع مدينة طنطا تكريماً له ، كما نظم شعراء عصره قصائد رنانة في رثاء الشهيد الثائر عزيز فهمي، لعل من أبرزهم الشيخ إبراهيم علي البديوي ورثاه أيضا الشاعر فرحات عبدالخالق بقصيدة (مصرع النائب الجريء)، كما نعاه حسن كامل الصيرفي بقصيدة (شعلة المجد) وهي همزيه تتكون من **71** بيتاً من شعر الرثاء الممزوج بالوطنية يقول فيها :

صك النعي مسامعي فأحالني	شبحا تطير بلبه الأنباء
مـات العزيز، فمات جيل كامل	للـمجد تتبع خطوه العلياء
لهفي على الآمال يصدع ركنها	قـدر، ويهدم أسهن قضاء
يا راقداً فـي حفرة محصورة!	كانت تضيق بروك الأرجاء
أي المواهب فيك أبـكـي إنها	يعيا بحصر كمالها الإحصاء !
الشاعر الحي الشعور، نشيده	من قلبه ذوب ومن إيمانه الإيحاء
والـكـاتب العذب البيان ترسلا	يزهو بـسـحـر بيانه الإنشـاء
والمدرة الطلق اللسان مدافعا	لا الـجـاه غـابـتـه ولا الإثراء
والـنـائـب الـحـر العقيدة هاتفا	بالـحـق لا ضعف ولا استخذاء
تـخـذ الـصـراحة مبدأ وعقيدة	لـم تـوحها حـزبـيـة عـمـياء
وطنـية تـسـمـو عـلـى أمثالها	ويـكـل عـن إدراكها القرناء
ومجاهد ثبت الفؤاد مـكـافـح	لـم يـثـنـه سـجـن ولا إيذاء
لهفي على تلك الخلال تضيعها	فـي لـحـظـة سـيـارة وعناء!

ويقول الشاعر عبدالرحمن الخميسي في رثاء الشهيد عزيز فهمي:

قد كان عاصفة على الباغي ... وفي
أيدي الضحايا كان زهر الـيـاسمين
إن العواصف كالزهور: قـصـيـرة
آجالها ... لكنها فـوق الـمـنـون!

كما نعاه الكاتب الكبير الأستاذ أحمد حسن الزيات في مجلة الرسالة بتاريخ 5/12 /1952 م قائلاً تحت عنوان (وا حسرتا علي عزيز!):

(جاءني على غير انتظار ولا توقع أن زين الشباب عزيزاً أدركه الموت الأسود وهو في طريقه إلى نصرة الحق وخدمة العدالة، فأخذني أول الأمر وجوم كوجوم المبهوت، فيه الدهش والشك والتبلد والحيرة. ثم تكرر النبأ الفاجع في صيغ شتى، فانجلى البهت رويدا رويدا، حتى تمثل لعيني الخطب الجلل على أبشع صوره وأفظع معانيه. تمثل لي مصاب نفسي في الخلق الرضي والطبع الحيي والفؤاد الذكي والوفاء المضحي، فجزعت جزع الإنسان يرى قوة من الخلال الكريمة تفنى ولا تُخلف، وتمثل لي مصاب وطني في المحامي الوثيق الحجة، والخطيب الحافل الذهن، والنائب الشجاع القلب، والشاعر السمح القريحة، فجزعت جزع المواطن يرى ثروة من المواهب العظيمة تفقد ولا تعوض،

جزعت للإنسانية لأني أكاد لا أعرف من هذا الناس إلا آحادا من طراز عزيز قد برهنوا بالفعل على أن الإنسان الذي يسفل فيكون شرا من شيطان، يستطيع أن يعلو فيكون خيرا من مَلك. وجزعت للوطنية لأن هذا البلد البائس الذي يكابد سوء الأخلاق في داخله، ويجاهد شر الدول في خارجه، يفتقر في محنته إلى أمثال عزيز ليرفعوا قيمة الفضيلة في التعامل، ويعظموا قدر الكفاية في العمل ...)

***